41

منبّـه

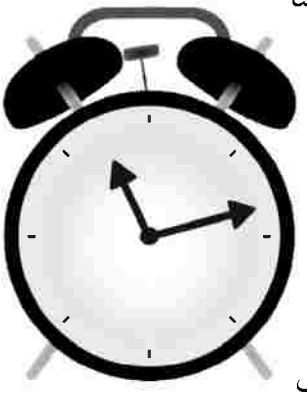

هو أداة التنبيه والتذكرة لعمل شيء ما، وقد كنا ولا زلنا نستخدمه لينبهنا ويذكّرنا خاصة بوقت صلاة الفجر حينما نضبطه فنستيقظ على دقاته المنبهة الطيبة وهي تدعوك إلى الفلاح بعد أن دخلها صوت الأذان المحبب للنفوس المؤمنة والذي أصبح يزين معظم المنبهات.

وكأني بالمنبه الآن يحس مع دقاته بالخطر ويتوجس خيفة من الأيام القادمة خشية الاستغناء عنه فيشكو هو الآخر كغيره من تغير الأشياء حين يستبدله البعض بجرس التليفون المحمول رغم ما في ذلك من خطر على صحة حامله إذ عادة ما ينامان معًا في غرفة واحدة!

وبطلنا المنبه يتعجب كذلك لتغير نمط الحياة واختلاف الأوقات عليه فما عهد منا طيلة عمره إلا الجدّ والعمل من معظم مالكيه، الذين كان الوقت عندهم له قيمته واحترامه، والموازين لها نصابها الذي لا تتعداه إلى غيره، فلماذا يشكو المنبه؟ وممن يشكو؟

إنك تلحظ تلك الشكوى وتحسها مع المنبه حين يحل وقت الإجازة في فصل الصيف بحرّه وطول نهاره، فينقلب الليل عند الكثيرين إلى نهار حتى ساعة متأخرة منه، ويتحول النهار إلى ليل يصل ربما إلى وقت الظهر أو بعده، وفي الحالين يصرخ المنبه ويصيح معلنًا وقت الصلاة أو طلوع النهار وما من مجيب أو مستمع، إذ الأجساد من طول السهر منهكة، والنفوس من نوم النهار كسولة متراخية، وهذا التغيير ليس بالأمر الهين، فقد قضى الله تعالى وقدر أن يكون الليل

للنوم والسكن وراحة البدن، والنهار للسعي وطلب الرزق وابتغاء الفضل من الله، وإعمار الأرض بكل نافع ومفيد للإنسانية، فقال ممتنًا على عباده : ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[النبأ:9:11]وبيّن أن هذه نعمة عظيمة فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾[غافر:61].. ومن المعلوم أن النوم أثناء النهار والسهر طوال الليل يؤدي إلى اضطراب في عمل الساعة البيولوجية في الجسم وذلك له الأثر السيء على التمثيل الغذائي داخل الخلايا، وقد لفت الله أنظارنا ودعانا للتفكر في تلك الآيات الربانية العظيمة فقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾[يونس:67]. وليس من المعقول أن نمزج بين أوقاتنا ونخلط بينها فإن لله تعالى عملاً بالنهار لا يقبل منا عمله إلا في النهار، وعملاً بالليل لا يقبله إلا إذا عملناه في الليل. ولقد امتدح الله عباده الذين يسهرون في طاعته فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾[الفرقان:64] . . سهرًا لا يضيع عليهم فريضة الفجر ولا ينامون معه طيلة نهارهم، وقد كان المسلمون الأوائل يسهرون بالليل لكنهم ما كانوا ينامون النهار مثلنا، وهناك فارق كبير بين سهرهم وسهرنا، ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 17 -18].

فهل جميعنا كذلك؟

بالتأكيد يوجد منا من يحذو حذوهم فتجده يقوم مبكرًا التماسا للبركة وتحريًا لدعوة رسول الله ﷺ حين قال: **"اللهم بارك لأمتي في بكورها"** [1] ، قد أدى فريضة الفجر في جماعة بالمسجد بعد أن أقام بعض ليله، فأصبح طيب النفس

(1) رواه الترمذي .

نشيطًا، وهذا حسن وطيب، لكن البعض منا أيضًا خاصة من الشباب يقضي الواحد منهم شطر ليله هائمًا على وجهه بين الطرقات، أوجالسًا أمام شاشات الفضائيات، أو لاهيًا لاغيًا مع اللعب بالورق أو ألعاب الفيديو مع رفقائه-وما هم برفقاء- أو في مقاهي الإنترنت، وإلا فمع المحمول!

وهذا هو غبن النفس بعينه إذ ضيعنا عليها فرصة الاغتنام التي حث عليها رسول الله ﷺ حين قال: **"اغتنم خمسًا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك"**[1] .

وليتنا إذ أصابنا الأرق والسهاد جعلنا منه نعمة تفوق حلاوة الرقاد وذلك بتهجد وخشوع، وطول قيام وركوع، ودعاء بخضوع، واستغفار بالأسحار، فرارًا إلى الله، وهربًا من النار. فإن لم نفعل ذلك نمنا فكان النوم عبادة أيضًا إذ حفَظنا الله به من الآثام مع صدق النية والتوجه إلى الله.

وعلى الجانب الآخر تجد فئة أخرى وشريحة من الأزواج أضافوا إلى غبن نفوسهم ضياع حقوق غيرهم والواجبات الخاصة بالأهل والأبناء والزوجات، إنهم يسهرون طويلاً ويقضون ليلهم مع الأصدقاء ويتكرر ذلك منهم كثيرًا حتى يصبح عادة تضيع معها حقوق الزوجات بالليل، ورعاية الأبناء بالنهار، وطاعة الوالدين فيما بينهما، أمَا علموا أن هذه عادة سيئة تشارك على المدى البعيد في تقويض وخلخلة جدران بيوتهم وعشهم الزوجي دون أن يشعروا، وأنهم يريقون ماء المحبة بأيديهم شيئًا فشيئًا حتى يخلو منه الإناء!

ويبذرون بذلك بذورالنفور والشقاق، وإن اعترضت إحداهن على زوجها قد ينهرها ويقول لها إنه رجل حُرّ يفعل ما يريد ويصنع ما يشاء، بل قد يتعدى عليها أحيانًا بالضرب والإيذاء!

فهل هذه حرية حقًا؟!

---

(1) رواه الحاكم .

وهل من الرجولة ضياع الحقوق وإهدار الأوقات؟!

وكذلك قد يحدث الخلل من بعض الزوجات فتذهب إلى بيت الأسرة وتسهر معهم حتى قرب الفجر تاركة بيتها وزوجها الذي سيهرب بالتالي من الوحدة إلى السهر مع الأصحاب،أمَا تفكروا جميعًا في قوله ﷺ : **"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه"** (1) .

وهلا أعدوا الإجابة للسؤال؟

إننا نحتاج إلى وقفة صادقة مع النفس، وعودة حميدة إلى نبع الدين الحنيف الذي راعى فطرة الناس واحتياجاتهم النفسية والبدنية فأمر بحفظ الصحة العامة للبدن وجعلها من مقاصد شريعتنا السمحاء، وحرم كل ما من شأنه الإضرار بها أو إتلافها، فجعل للجسم حقًا وللروح حقًا، وأعطى للزوج حقًا وللولد حقًا، ووازَن بين الحقوق والواجبات خشية الغبن والخسارة. قال النبي ﷺ: **"نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ"** (2) . لذا فقد وجب علينا أن نرتقي بأنفسنا ونأخذها بأسباب قوتها ونتعرف على ما يضرها فنبتعد عنه حتى ولو كان يسيرًا في ظننا كالسهر الطويل ليلاً أو النوم الكثير نهارًا، وحبذا لو عمل كل منا لنفسه برنامجًا يوميًا يتعاون فيه الزوجان، يبدأ من طلوع الفجر وينتهي بصلاة العشاء، ثم النوم على ذكر وطاعة ومحاسبة واستغفار، ليحيا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة كما قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

[النحل:97].

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه البخاري .

42

المهد "سرير الطفل"

لقد تخرج من تحت لحافه العلماء والعظماء والمشاهير، القادة منهم والفرسان المغاوير.. وكل الناس مَن مَلكَ منهم الدينار والدرهم والقناطير.. إنها مرحلة لا بدّ منها في حياة الإنسان، وهي أول الطريق لا يتخطاها أحد ولا يتعداها مخلوق، فالكل يولد صغيرًا ثم يكبر شيئًا فشيئًا إلى أجل معدود، ترعاه عين الله وتحرسه عناية الرحمن التي لا تخطئ ولا تغيب.

ألم تنظر إلى القمر حين يولد ثم لا يلبث أن يكبر ثم يأفل ويرحل كالغريب.. ألا ترى الشمس وهي تشرق على استحياء حتى تكبر وتكبر ثم تنحني لأمر الله وراء الأفق عند المغيب.. وبذرة الحّب وهي وليدة إذ تنمو في الأرض وتورق فإذا هي بستان بهيج وعجيب .

هكذا أنت أيها الإنسان حين صّورك الله في الأرحام وحباك بفضله وإنعامه وغذاك بكرمه وامتنانه وجعل منك بشرًا سويًا سليم الأعضاء كامل البنيان، كل ذلك مُذْ كنت نطفة صغيرة إلى أن صرتَ مولودًا تتقلب في المهد وتعيش في الوجدان، ولولا أن الله قد ألقى في قلب أمك المحَبّة لك وأنت بين جوانحها، والشفقة عليك وأنت تتنقل من طور إلى طور، ومن حال إلى حال، وملأه بالحنان والإحسان، لولا ذاك ما رعاك بعدها إنسان.. وها هو رسولنا الحبيب ﷺ يقول: **"إن لكل شجرة ثمرة، وثمرة القلب الولد"** [1] .

(1) رواه البزار .

ويأتي المولود الحبيب وتأتي معه الأحلام.. سيكون ابني هذا عابدًا من أخلص العبّاد.. وعالمًا معلّمًا يملأ بعلمه عقول العباد، أو طبيبًا حاذقًا يذهب الله على يديه كثيرًا من الأمراض، ومهندسًا بارعًا يشق الطرق ويصمم البيوت والعمارات، وندعو بكل إخلاص فنقول ربنا احفظ مولودنا هذا من عيون الحسّاد.. جميل جدًا ومهمّ أن يحلم الإنسان فما ذاك إلا سبيل لإيجاد هذا الحلم وتحقيقه في أرض الواقع، وكل تلك الأحلام جميلة، فما السبيل لتحقيقها؟

إن المرأة حين تحمل جنينها في رحمها تحرص على عدم إيذائه بأي نوع من أنواع الإيذاء ويحرم عليها ذلك وكأن في هذا بلاغًا لها أنْ قد خُلقتِ لأمر عظيم.. لإظهار المعجزة الإلهية في خلق الإنسان، وأنك لا تعيشين لنفسك فقط فأمامك أمر جلل وسوف يتخرج على يديك الكثير الطيب من عباد الله، فيستمر عملك ويمتد عطاؤك بعد الممات ويظل موصولاً بفضل الله، ما أديتِ الرسالة وحفظتِ الأمانة المتمثلة في قول رسوله ﷺ : **"ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه"** [1] . إنها مهمة الحفاظ على بريق تلك الفطرة ونصاعتها ورونقها، والسموّ بها إلى أعلى المقامات.. وكما يقول النبي ﷺ لنا: **"كلكم راع ومسئول عن رعيته"**[2] .

إن كثيرًا من الأمهات يخطئن حين تظن الواحدة منهن أن مهمتها مع طفلها أن ترضعه وتنظفه وتزيل عنه الأذى فحسب، وكذلك بعض الآباء يظنون أن ما عليهم تجاه أولادهم هو جلب الطعام لهم والنفقة عليهم وإجابة مطالبهم المادية، ويظن الجميع أن ذلك هو غاية التربية ومنتهاها، وعظيم المحبة التي وصلت أعلاها، وما درَوْا أن دورهم هو تنشئة نسمة طاهرة على حب الله وتوحيده، وعبادته العبادة الصحيحة المتمثلة في القيام بفرائضه والتأدب بأخلاق دينه، وتعمير الأرض بما ينفع الناس، ودعوتهم إليه وإلى مكارم الأخلاق، إنهم يحسنون

(1) رواه البخاري .
(2) متفق عليه .

إلى أولادهم وإلى مجتمعاتهم حين يفعلون ذلك، والمسلم أينما حلّ بمكان نفع مَن فيه، فهو العضو الفعال الخلوق المتدين.

والإسلام دين شامل لذا ينبغي أن يكون الاهتمام بالطفل شاملاً كذلك، فيشمل الجانب الروحي، والخلقي، والعقلي، وكذلك الجانب الجسمي، والاجتماعي.

وفي هذا يقول الإمام الغزالي رحمه الله : اعلم أن طريق تهذيب الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند الوالدين، وقلبه جوهرة طاهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه والداه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له، ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه، ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء.

فإذا وقفت أيتها الأم الحنون أمام سرير طفلك وامتدت إليه يدك لتهدهده فاعرفي له حقه من قبل أن يكبر هوَ ومن قبل أن تحاسَبي أنت، واعلمي أن: **"ريح الولد من ريح الجنة"** [1] .

وأنت أيها الوالد المحب إذا نظرت إلى المولود في مهده فاشكر الواهب على ما وهب وتفضّل، وكن له خير مربي وأصدق قدوة، تقرّ به عينك ويسرّك ويَدُمْ عليك فضل ربك.

قال رسول الله ﷺ : **"إذا نظر الوالد إلى ولده فسَرّه كان للولد عتق نسمة".**

قيل :" يا رسول الله وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة؟ قال: الله أكبر" [2] .

---

(1) رواه الطبراني .

(2) رواه الطبراني .

43

ميـــــزان

تجده عادة في المطبخ أو في غرفة الرياضة، أما وجوده في المطبخ فلِكَيْ توزن به مقادير الحلوى وبعض الأكلات حيث أن منها ما يحتاج إلى وزن دقيق لنحصل على نتائج طيبة وخاصة عند صنع الكيكات والحلويات.. ووجوده في مكان الرياضة حتى نزِنَ أجسامنا ونعرف ما إذا كان وزنها يتناسب مع طولها أم لا، وذلك حفاظًا على صحتنا العامة بعد أن عرف الجميع أضرار الوزن الزائد وخطره على الصحة وارتباطه بكثير من الأمراض، وهذا الحرص منا أمر طيب وقد حثنا الرسول عليه الصلاة والسلام أن نأخذ بأسباب القوة فقال: **"المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز.. "**[1].

ذكرت كلمة (**الميزان**) في القرآن الكريم، وفي السنة المطهرة.. وقد أهلك الله تعالى قوما كانوا يطففون الميزان وينقصون منه، كما أنزل سورة باسم (**المطففين**)، وافتتحها سبحانه بالويل والوعيد والتهديد لهم، لذا فإن كلمة (**ميزان**) توحي بالعدل والراحة للمقسطين، وتنذر بالويل والهلاك للظالمين القاسطين، وهي كلمة لا بد أن يقف المرء أمامها طويلا ولا يمر عليها مرور الغافلين اللاهين.

والميزان التقليدي ذو الكفتين شعار للعدل، لذا فإن صورته تتصدر المنصة في قاعات المحاكم تذكرة للقضاة بالعدل الواجب عليهم، وقد أمر الله تعالى الناس بالقسط فقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:9] .. على أن

(1) رواه مسلم .

بعض الناس وبعض الدول بما أوتيت من قوة وبأس ترجح دائمًا كفة الميزان بما يناسب مصالحها ولو أدى ذلك إلى هلاك غيرها أو ظلمهم فتزن بمكيالين!

حين نتفكر في ذلك الميزان نتذكر قول رسول الله ﷺ :"**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم "فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا"**"[1] ..

إن هذه الأجساد التي كان أصحابها يأكلون ويشربون، ويلعبون ويمرحون، ويضحكون ملء فيهم، ستوزن بميزان العدل يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:88-89].. وإن كان المرء منا يقف كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر على أرض ميزانه في البيت ليزن جسمه فإنه سيقف على ميزان الحق يوم القيامة.. قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء:47] .. وستوزن أعماله، والسعيد من ثقل ميزانه.. فهل مقياس الميزان واحد في الدنيا والآخرة؟

إن بعض الناس يقيسون الآخرين بميزان المال والجاه والمظهر، لأنهم في الدنيا، أما في الآخرة فالميزان مختلف، والمقياس وضحه رسول الله ﷺ حين ضحك القوم من دقة ساقي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، فقال لهم: "**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من جبل أحد**" [2] ..

نعم.. إن الميزان يختلف تمامًا يوم القيامة، فقد يستطيع الإنسان أن يطفف في ميزان الدنيا وقد ينجو من اللوم أو العقاب أو التوبيخ، أما يوم القيامة فلا مجال لذلك التطفيف، وإنما يوزن الناس بما يستقر في نفوسهم من إيمان وصدق ويقين، فليفتش كل منا عن ذلك عندما يضع قدميه على الميزان، وليزن أعماله وهو يزن جسمه، وليعلم أنه موزون هو وأعماله وصحائفه من حسنات وسيئات، وإن كان

(1) رواه البخاري .
(2) حسنه الألباني .

منا من يزِنها فيستوفي لنفسه قدرها ويرفعها فوق منزلتها ولا يتهمها أبدًا، أما شأنه مع أعمال الغير فإنه ينقص من قدرها ويحقر من شأنها وأهميتها فيطفف فيها كما يسرق بعض البائعين حين يزِنون للناس بضاعتهم! وهؤلاء جميعهم مطففون غير عادلين، وقد ظلموا أنفسهم قبل غيرهم، وتوعدهم الله تعالى بالويل وقال﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[المطفِّفين:1] .

دلّت السنة على أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾[المؤمنون:103].

قال القرطبي: قال العلماء: "إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها".

الناس عند الميزان: من ثقلت موازينه ولو بحسنة واحدة فقد فاز وأفلح، ومن خفت موازينه ولو بسيئة واحدة خاب وخسر، ومن تساوت حسناته مع سيئاته فأولئك أصحاب الأعراف ويكونون على جبل بين الجنة والنار، ثم يتغمدهم الله برحمته.

بم يثقل الميزان؟

- يثقل بكل عمل يقربك من الله تعالى..

- بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله، والعمل بمقتضاها، وكما قال النبي ﷺ : **"ولا يثقل مع اسم الله شيء"**[1] .

- **بالحمد:** قال رسول الله ﷺ: **"الطهور شطر الإيمان. والحمد لله تملأ الميزان"** [2] .

---

(1) رواه الترمذي .

(2) رواه مسلم .

- **بالتسبيح:** لقول النبي ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"[1] .

- **بالصبر على موت الولد :** قال رسول الله ﷺ:"رأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه" [2] .

- **بحسن الخلق :** قال رسول الله ﷺ :"ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق" [3] .

- **بوزن الأعمال بميزان العدل مع الجميع :**

مع الوالدين : قال الله تعالى: "﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان:15].

مع الأبناء : قال رسول الله ﷺ: "فاتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم"[4] .

مع الزوجة : قال رسول الله ﷺ: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل"[5] .

مع الناس : قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[النحل:90].

مع الأعداء : قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة:8] .

مع الورثة : قال رسول الله ﷺ: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين" [6] .

مع الضعفاء : قال رسول الله ﷺ: "وعونك الضعيف بفضل قوتك صدقة" [7] .

---

(1) رواه البخاري .
(2) رواه الحافظ الهيثمي .
(3) رواه الترمذي .
(4) متفق عليه .
(5) رواه أبو داود .
(6) متفق عليه .
(7) رواه أحمد .

مع الأيتام : قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ﴾ [النساء:10] .

في البيع والشراء : قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾

[الأعراف:85].

في الوصية : قال النبي ﷺ: **"إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضارّان في الوصية فتجب لهما النار"** (1) .

مع الحيوان : قال النبي ﷺ: **"دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"** (2) .

فلنبادر بالتوبة والمحاسبة كما قال عمر رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتهيأوا للعرض الأكبر.

(1) رواه الترمذي .
(2) متفق عليه .

44

هاتف "تليفون"

مَن كان يصدق أنه سيأتي يوم يكلم الإنسان فيه مِن مكانه شخصًا بعيدًا عنه في بلده أو في بلد آخر، وذلك من خلال قطعة من البلاستيك قد تكون في حجم الكف أو حجم الإصبع؟!

لقد كانت هذه القطعة العجيبة خلاصة تجارب ومحاولات عديدة حتى صارت إلى ما هي عليه الآن وانتهت إليك وإليّ، لتتحدث منها في ثوان معدودة في أي وقت تشاء، وفي أي ساعة من ليل أو نهار، وفي أي مكان تريد، ومن يدري فلعلها تتطور فتكون شيئًا آخر بعد حين.

إن كل ما نرى ونستخدم من تكنولوجيا حديثة لم تكن موجودة عند أسلافنا الأوائل، لكنها كانت موجودة في علم الغيب منذ خلق الله تعالى السماوات والأرض، وهي دلالة عظيمة على عظمة الخالق سبحانه الذي كرم الإنسان بالعقل وهداه لخدمته وسخر له ما في الكون ليستعين به على رحلته في هذه الحياة ويجعل منه زادا للدار الآخرة، ولما كانت الصنعة تدل على صانعها، والهاتف يدل على رقي الإنسان وعقله، فإن العقل البشري تلك المعجزة الخارقة تدل على واهب العقل والحياة سبحانه وتعالى، الذي كرمنا به وفضلنا على كثير من مخلوقاته تفضيلاً.

أول من اخترع الهاتف العالم الأميركي **ألكسندر** بل وكان ذلك في سنة 1876م، ولا شك أن الهاتف أصبح الآن من ضروريات الحياة ولا يخلو منه بيت ولا جَيب! فقد تطورت أنواعه حتى صار منه الهاتف المحمول أو النقال، الصغير منه والكبير، ولا ضير في هذا التطور فإنه حسن لكنّ الأحسن منه أن تعرف كيف تسخره لخدمتك وتجعل منه نعمة لك لا نقمة عليك، فتحسن استخدامه وتوفر به

من وقتك ما تستغله في عمل صالح، إذ أن البعض قد يتخذونه وسيلة للتسلية وقتل الوقت كما يحلو لهم، فيكون سبيلهم للَغو القول والغيبة والنميمة والكذب، والتحدث إلى الجنس الآخر بهدف المعاكسة أو المغازلة أو تحت أي مسمّى يمليه شيطان النفس والهوى عليهم، أضف إلى ذلك اختلاف رناته وتنوعها حتى أصبحت على شكل أصوات موسيقية صاخبة، وأغاني لا خير فيها ابتلينا للأسف بها فاقتحمت علينا أماكن خلوتنا في صلاتنا بالمساجد، ودور العلم والمدارس والجامعات، فقطعت الخشوع وذهبت بالتركيز، وفي ذلك إفساد كبير للقلب، وقد قال رسول الله ﷺ: **"لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"**[1].

وقد فهم الصحابة ذلك وحفظوا ألسنتهم، فكان عبدالله بن مسعود ﷺ يقول: يا لسان قل خيرًا تغنم واسكت عن شر تسلم من قبل أن تندم. كما فقهوا الأدب مع اللسان فكانوا يقولون: إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه، وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا همّ بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه. وكانوا يكرهون فضول الكلام ويعدّونه كل ما عدا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بدّ لك منها، ويقولون أتنكرون أن عليكم حافظين كرامًا كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد، أما يستحيي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.

إن العاقل تزيده النعم تقربًا من ربه لا هربًا منه أو بُعدًا عنه، وكلنا مسئول عما أنعم الله علينا به من تلك النعم، ويمكنك أن تستخدم الهاتف في قول الخير من الأمر بالمعروف، أو تلاوة القرآن، أو النصح، وأعرف بعض الصديقات يتخذن منه وسيلة لتسميع ما حفظنه من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة بدلاً من

(1) رواه أحمد .

ضياع الوقت، وكذلك في صلة أرحامك خاصة الذي تبعد عنك داره، والسؤال عن أحوال إخوانك، وما شابه ذلك، فإذا سولت لك نفسك قول السوء أو تضييع دقائق العمر النفيسة في فضول القول فتذكّر نظر الله إليك ومكان الملائكة الكتبة بين يديك، ولو نظر كل منا إلى حاله حين يتكلم وما يؤول إليه أمره من حفظ لأقواله جهرها وهمسها، جدها وهزلها، قليلها وكثيرها، لحفظ لسانه وخزنه إلا عن الخير.. ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:17-18].. وما تنفقه على هذه المكالمات الهوائية عديمة الفائدة أطعِم به مسكينًا أو اكفل به يتيمًا أو أحسن به إلى محتاج.

والهاتف ينقلك إلى بلاد بعيدة لم ترها عيناك ويقصر أمامك المسافات وتستطيع من خلاله إيصال رسائل المحبة والتذكرة لإخوانك وأصدقائك في أي مكان، وهو بلا شك يوفر عليك الوقت حين تستخدمه في شراء ما تحتاجه وأنت في بيتك، ومع ذلك فإن له آفات خاصة بعد ظهور الهاتف النقال أو كما يسمونه المحمول حيث يحمله صاحبه في كل مكان إذ أصبح كثير من الشباب يقضون أوقاتهم معه حتى في وسائل المواصلات وبدلاً من أن كان الواحد يمسك بكتيّب صغير أو جريدة يقرؤها أثناء الطريق ليقصر عليه صار يلعب بالهاتف أو يرسل الرسائل التي لا طائل من ورائها إلا تضييع الوقت الذي لا ندرك أهميته إلا بعد فوات الأوان. وكما قيل: والوقت أنفس ما عنيت بحفظه:وأراه أسهل ما عليك يضيع .

لذا فقد قال **الحسن البصري** -رحمه الله- : **"يا ابن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك، وكذلك ليلتك "**.

ومن آفات الهاتف أن البعض جعل منه وسيلة للتجسس على الآخرين من عباد الله وخاصة بعد أن زودت الأنواع الحديثة منه الآن بالكاميرا التي تلتقط

الصورة ممزوجة بالصوت إن أردت، قد يحدث ذلك في حياتنا العامة أو مناسباتنا السعيدة في عرس مثلاً والنساء بكامل زينتهن فتأتي مَن تصوّر العروس - عن طريق الهاتف النقال الذي تملكه- دون استئذان وتفاجأ العروس فيما بعد بذلك! وقد تكون جالسًا في أي مكان ولا تدري أن هناك من يتجسس عليك بكاميراته الشيطانية ناسيًا أوغافلاً أن هناك كاميرات ربّانية تسجل بالصوت والصورة ما يفعله ذلك الجاسوس المتطفل، ومنهم من يستغله كغيره من الوسائل في التنصّت على الناس بحجة حفظ الأمن كما يزعمون فتتجسس الدول القوية على من تشاء، وتتجسس أجهزة المخابرات على من تريد، لكن الغاية لا تبرر الوسيلة وقد حرم الله التجسس فقال:**"ولا تجسسوا"**، وجعله انتهاكًا لحرمات الناس وهتكًا لأعراضهم.

ومن آفات الهاتف المحمول لهاث البعض وجريهم وراء الموضة في أنواعه، واتخاذه علامة على مستوى حامله الاجتماعي والطبقي، والتفاخر بذلك-وخاصة من قبل الشباب- أمام أقرانهم فتحوّل الغرض الأساسي من اقتنائه إلى غرض آخر أدى إلى التباهي الذي نهينا عنه، وليتنا صنعناه نحن بأيدينا، إذاً لراجتْ تجارتنا وربحتْ، وكان المال المبذول فيه مِنّا وإلينا.

ومع كل ما ذكرنا من آفات إلا أنه لا يستطيع أحد أن ينكر ما لهذا الهاتف من مزايا كثيرة تجعله نعمة عظيمة تستحق شكرًا عظيمًا يماثلها، المهم أن تحسن له الاستخدام، وإذا ما دعاك هذا الهاتف لارتكاب المحظورات فلا تستجب له، واجعل هاتف الخير في نفسك منه أقوى.

المراجع الرئيسية

صفوة التفاسير، مختصر تفسير ابن كثير لفضيلة الشيخ محمد علي الصابوني .

تفسير العلي الكبير لاختصار تفسير ابن كثير فضيلة الشيخ محمد نسيب الرفاعي.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم..الأستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي.

الحلال والحرام في الإسلام لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي.

رياض الصالحين للإمام النووي.

الأذكار للإمام للنووي.

إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران.

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للإمام لابن رجب الحنبلي.

وصايا الرسول.. الشيخ طه عبدالله العفيفي.

الإيمان.. الدكتور محمد نعيم ياسين.

فقه السيرة.. لفضيلة الشيخ محمد الغزالي.

فقه السيرة.. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

الفقه الواضح من الكتاب والسنة على المذاهب الأربعة.. الدكتور محمد بكر إسماعيل.

فقه السنة للشيخ السيد سابق.

حسن العشرة.. الشيخ محمد حسان.

عودة الحجاب جـ2 الشيخ محمد المقدم.

من أجل تحرير حقيقي للمرأة.. الأستاذ محمد رشيد العويد.

تربية المراهق في رحاب الإسلام للأستاذ حامد النصر والأستاذة خولة درويش.

مختار الصحاح.. الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

البحر الرائق في الزهد والرقائق.. الدكتور أحمد فريد.